

منبر المحراب

السنة العشرون
العدد ٩٨٩ - ١٦ / جمادى الثانية / ١٤٣٣ هـ
الموافق ٨ / أيار / ٢٠١٢ م

الخلق مفلطونون عن معرفة فاطمة عليها السلام

«إن فاطمة هي ليلة القدر، من عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سُميت فاطمة لأن الخلق فُطموا عن معرفتها، ما تكاملت النبوة لنبي حتى أمر بفضلها ومحبتها وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى»^(٢).

ففي هذه الرواية تم تشبيه فاطمة عليها السلام بليلة القدر وقد حاول بعض العلماء إيجاد أوجه شبه بين الزهراء عليها السلام وليلة القدر منها:

١. **مجهولية القدر والقيمة:** كما أن ليلة القدر مجهولة للدلالة على عدم إمكان تعريف ليلة القدر للناس قوله تعالى: ﴿وَمَا أَتَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ وفي الرواية إشارة إلى هذا الوجه من الشبه وهو كون الخلق فطموا عن معرفتها. وكيف تُدرك من كانت لمن هو أسوة الخلق ومقتداهم أمًا. ففاطمة بتعبير الرسول ﷺ أم أبيها. بل كيف يُدرك مقام من قال حجة الله على خلقه الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «نحن حجج الله على الخلق، وفاطمة الزهراء حجة الله علينا»^(٢).

ومن عجيب ما ورد في حقها ما ورد في توقيعات صاحب الأمر ﷺ أن أسوته ومقتداه أمه فاطمة الزهراء عليها السلام.

٢. **ليلة القدر ليلة مباركة:** بمعنى

فُطموا عن معرفة تمام حقيقة فاطمة الزهراء عليها السلام فضلاً عن قصور البيان عن التعبير عن ذلك المخلوق الذي كان عطية الله لرسوله ﷺ ومن عنصر ملكوتي تشرف الرسول ﷺ بنيله بعد صوم أربعين يوماً...

ولذا عبر النبي ﷺ عن شرف عنصرها بقوله ﷺ: «لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة، بل هي أعظم، فإن فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصرًا وشرفاً وكرماً»^(١).

ولكن لا بد من الإشارة إلى أن هناك إمكانية ما، لمعرفة ما شاء الله له أن يُعرف من فضل الصديقة الكبرى ومقامها... فإن كان لنا عذر هو القصور عن معرفة تمام وكمال المقام... إلا أن ثمة مرتبة من المعرفة يسرها الله لنا لا نُعذر بالتقصير عن طلبها، ولقد كشفت الروايات والآيات عن ذلك ولنعد إلى الروايات لنحاول فهم شيء ومعرفة ولو يسيرة بهذه الحوراء الإنسانية المُسمَّاة فاطمة بنت محمد (صلوات الله عليها) وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها.

فاطمة ليلة القدر:

في تفسير نور الثقلين والبرهان وكذلك أورده العلامة المجلسي في بحار الأنوار عن تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي مسنداً عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير سورة القدر:

محاور الموضوع الرئيسية:

- مقدمة: لا يُصبُّ البحر في جرة فاطمة عليها السلام وليلة القدر
١. مجهولية القدر والقيمة.
٢. ليلة القدر ليلة مباركة.
٣. خير الليالي.
٤. وعاء نزول القرآن.

الهدف:

بيان كون الخلق عاجزين عن معرفة الزهراء عليها السلام ببيان أوجه الشبه بين ليلة القدر وبين سيدة النساء عليها السلام.

تصدير الموضوع:

قال رسول الله ﷺ: «لو كان الحسن شخصاً لكان فاطمة بل هي أعظم، فإن فاطمة ابنتي خير أهل الأرض عنصرًا وشرفاً وكرماً»^(١).

(١) فرائد السمطين، ج ٢، ص ٦٨.

مقدمة: لا يُصبُّ البحر في جرة:

يقول الإمام الخميني رحمه الله عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: «امرأة هي مضخرة بيت النبوة وتسطيع كالشمس على جبين الإسلام العزيز، امرأة تماثل فضائلها فضائل الرسول الأكرم ﷺ، والعترة الطاهرة غير المتناهية.

امرأة لا يفي حقها من الثناء كل من يعرفها، مهما كانت نظرتهم... ومن غير الممكن صبُّ البحر في جرة، ومهما تحدث عنها الآخرون فهو على قدر فهمهم ولا يضاهي منزلتها». هذا الإيجاز من الإمام الخميني

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٢، ص ١٠٥.
(٣) الانتصار، العاملي، ج ٧.

(١) فرائد السمطين، ج ٢، ص ٦٨.



إليه يصعد الكلم الطيب

إلا الله محمد رسول الله، وعلي فاطمة
والحسن والحسين خير خلق الله»^(٢).

٤. وعاء نزول القرآن: فقد قال
تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

فليلة القدر الوعاء الزماني
الذي شكل ظرفاً تشرف
بنزول القرآن فيه فاكست
الليلة قداسة بتشرفها بنزول
آيات الكتاب وتقدس بذلك
وتشرف الزمان المحيط بها
قبلاً وبعداً فأصبح الشهر شريفاً
يستحق أن يسمى شهر الله وهو
﴿الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

والزهراء عليها السلام كانت
ابنة تربت في البيت
الذي كان الملك ينزل
فيه على قلب أبيها
بآيات الكتاب،
فرافقت آياته وووعتها
وحفظتها، وانتقلت إلى أن

تصبح زوجة من هو عدل القرآن
والقرآن الناطق وكانت أمّاً لمن كلّفوا
حمل أمانة حفظ وتبيين وتجسيد
آيات القرآن...

وهي المشتركة مع أبيها وبعلمها وابنيها
في نزول الكثير من آيات الكتاب، وهي
المطهرة بنصّه، والمُجسّدة لِقِيَمِهِ،
فهي خلاصة الكمال النسائي بل هي
مجمع الكمالات الإنسانية...

وفاطمة تعرف معاني القرآن
وتحصى في كيانها معارفه وحقائقه
وتجسّد في شخصها قيمه ومُثله؛ فهي
من حجج الله على الخلق، وبابٌ من

كما قال العلماء العمل فيها مبارك
مضاعف الأثر بحيث يوازي عمراً
كاملاً من العمل والمداومة عليه من
حيث الثواب والأثار والبركات.

فليلة القدر بهذا المعنى مباركة.
وكذلك الزهراء عليها السلام فمن أسمائها
المباركة. وهي الخير الكثير المعطى
لرسول الله ﷺ فهي الكوثر من قوله
تعالى: ﴿إِنَّا أَطَعْنَاهُ الْكَوْثُرُ﴾ ومباركة
حيث إنّ الذكر المنسوب إليها تحت
اسم تسبيح الزهراء عليها السلام يجعل
كل صلاة بألف صلاة؛ وقد جاء في
شرح احقاق الحق للسيد المرعشي
من رواية عن النبي ﷺ: «... يا
سلمان حب فاطمة ينفع في مائة من
المواطن أيسر تلك المواطن الموت،
والقبر، والميزان والمحشر والصراط
والمحاسبة...».

٣. خير الليالي: بنص القرآن
الشريف «ليلة القدر خير من ألف
شهر» فليلة القدر لا يوجد ليلة من
ليالي السنة توازيها شرفاً وقدرًا وقيمة
ومقاماً وبركة فالزهراء عليها السلام كذلك
كما أن ليلة القدر سيدة الليالي كذلك
هي فاطمة عليها السلام سيدة النساء على
الإطلاق من الأولين والآخرين؛ فلا
توجد امرأة توازي الزهراء عليها السلام
مقاماً وقدرًا وشرفاً وكرامة ولذا جاء
في كلام لابن عباس (رض): «والله ما
كان لفاطمة كفؤ غير علي»^(١).

فهي خير النساء بل من خير الخلق
ففي حديث طويل عن النبي الأعظم
ﷺ: «على ساق العرش مكتوب: لا إله

أبواب العلم كما نص على ذلك
الحديث النبوي القائل: «إن الله جعل
علياً وزوجته وأبناءه حجج الله على خلقه،
وهم أبواب العلم في أمتي، من اهتدى
بهم هدي إلى صراط مستقيم»^(٢).

خاتمة:

نعود كما بدأنا مُفَرِّين بالقصور
فضلاً عن التقصير بالنهوض في
معرفة الصديقة الكبرى عليها السلام
فضلاً عن التعريف بها وأنّى لأوعيتنا
الضيقة المحدودة أن تطيق الإحاطة
بالبحر اللجي...

(٢) شواهد التنزيل الحافظ الإسكافي، ج ١، ص ٥٨.

(٢) بحر المعارف، ص ٤٢٨.

(١) المجلسي، البحار، ج ٤٣، ص ١٠١.